د. نعيمه عبدالله بن دهيش(*)

عصر السلطان عبد الحميد الثانى وأسباب سقوط الدولة العثمانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقدمة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده، الذى ملك ناصية البيان وتحدى فصحاء العرب بمعجزة القرآن . أما بعد :-

هذا البحث يتحدث عن عصر السلطان عبد الحميد وأسباب سقوط الدولة العثمانية، فيعطى صورة واضحة عن الجهود العظيمة التى قام بها السلطان عبد الحميد خدمة للإسلام، ودفاعًا عن دولته، وتوحيداً لجهود الأمة تحت رايته، وكيف ظهرت فكرة الجامعة الإسلامية فى معترك السياسة الدولية فى زمن السلطان عبد الحميد؟ والوسائل التى اتخذها السلطان عبد الحميد فى تنفيد مخططه للوصول إلى الجامعة الرسلامية، كالاتصال بالدعاة ، وتنظيم العمل الإسلامى، وتعريب مؤسسات الدولة، وإقامة مدرسة العشائر، ومد خط سكة حديد الحجاز، وإبطال مخططات الأعداء الرامية إلى تمزيق الوحدة الإسلامية، ودحض المخططات

---

* أستاذ مساعد - جامعة أم القرى- مكة المكرمة - قسم التاريخ.

الصهيونية العالمية التى تعمل على دعم أعداء السلطان عبد الحميد عن طريق دعم المتمردين الأرمن، والقوميين فى البلقان، مثل حركة الاتحاد والترقى، وتأييد الحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية، والتى أدت فى النهاية إلى عزل السلطان عبد الحميد عن السلطة.

وفى نهاية البحث يهتم الباحث بإبراز أسباب سقوط الدولة العثمانية من المنظور القرآنى.

وهدفى من هذا البحث:

١- تسليط الضوء على زعيم إسلامى من زعماء الدولة العثمانية.

٢- بيان المنهج الذى سار عليه السلطان عبد الحميد فى مسيرته الطويلة وقد قمت بتقسيم البحث إلى ثمانية مباحث :

المبحث الأول: السلطان عبد الحميد وتوليه السلطة وما رافق ذلك من أعمال .

المبحث الثانى: الجامعة الإسلامية والعمل على توحيد العالم الإسلامى.

المبحث الثالث: السلطان عبد الحميد واليهود.

المبحث الرابع : السلطان عبد الحميد وجمعية الاتحاد والترقى.

المبحث الخامس : الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد الثانى.

المبحث السادس : حكم الاتحاديين ونهاية الدولة العثمانية .

المبحث السابع : أسباب سقوط الدولة العثمانية.

النتائج.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المبحث الأول

السلطان عبد الحميد (١٢٩٣-١٣٢٦هـ / ١٨٧٦-١٩٠٩م)

السلطان عبد الحميد هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، تولى عـــرش الدولة وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره و إذ ولد فى ١٦ شعبان عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م.

وكانت والدته قد ماتت وهو فى العاشرة من عمره فاعتنت به الزوجة الثانية لأبيه وكانت عقيمًا ، فأحسنت تربيته وحاولت أن تكون له أمًا ، فبذلت له من حنانها كما أوصت بميراثها له . وقد تأثر السلطان عبد الحميد بهذه التربية وأعجب بوقارها وتدينها وصوتها الخفيض الهادئ ، وكان لهذا انعكاس على شخصيته طوال عمره .

تلقى السلطان عبد الحميد تعليمًا منتظمًا فى القصر السلطانى على أيدى نخبة مختارة من أشهر رجالات زمنه علمًا وخلقًا ، وقد تعلم اللغات العربية والفارسية، ودرس التاريخ وأحب الأدب، ونظم بعض الأشعار باللغة التركية العثمانية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتدرب على استخدام الأسلحة وكان يتقن استخدام السيف، وإصابة الهدف بالمسدس، وكان محافظًا على الرياضة البدنية، ومهتمًا بالسياسة العالمية، ويتابع الأخبار لمعرفة موقع بلاده منها بعناية فائقة ودقة نادرة .

قام السلطان عبد العزيز بزيارة إلى أوروبا يرافقه وفد عثمانى رفيع المستوى، وكان من ضمنه الأمير عبد الحميد الذى ظهر أمام الأوروبيين بملابسه البسيطة وسيرته الحميدة فى العفة[1]. وقد استعد الأمير عبد الحميد لهذه الرحلة بمطالعات واسعة، وقد سبقت تلك الرحلة زيارته مع والده إلى مصر ، وانتبه أثناء وجوده فى مصر إلى الزيف الكاذب للبريق الأوروبى والأخذ هناك بالشكليات الأوروبية، وأما رحلته إلى أوروبا فقد استغرقت من ٢١ يونيو إلى ٧ أغسطس من عام ١٨٦٧م، زار الوفد العثمانى خلالها كل من فرنسا وإنكلترا، وبلجيكا والدولة النمساوية المجرية.

وفى هذه الرحلة الأوروبية ، تفتح ذهن عبد الحميد إلى أمور كثيرة، انعكست على فترة حكمه كلها بعد ذلك، وهذه الأمور هى :

١- الحياة الأوربية بكل ما فيها من طرق معيشية غريبة وأخلاقيات مختلفة وشكليات .

٢- التطور الصناعى والعسكرى وبخاصة فى القوات البرية الفرنسية والألمانية وفى القوات البحرية البريطانية.

٣- ألاعيب السياسة العالمية.

٤- تأثير القوى الأوروبية على سياسة الدولة العثمانية. اقتنع الأمير عبد الحميد فى هذه الرحلة : أن فرنسا دولة لهو، وإنكلترا دولة ثروة وزراعة وصناعة، أما ألمانيا فهى دولة نظام وعسكرية وإدارة وكان إعجابه بألمانيا كثيراً . وتأثر الأمير عبد الحميد بهذه الرحلة ودفعه ذلك التأثر إلى الاهتمام بعد توليه السلطنة بإدخال المخترعات الحديثة وفى دولته فى مختلف نواحى الحياة : تعليمية وصناعية ووسائل اتصالات وعسكرية، ومن ذلك أنه قام بشراء غواصتين، زود بها سلاح الغواصات الجديد لديه، وأدخل التلغراف إلى بلاده ، وأنشأ المدارس الحديثة، وزودها بالعلوم العصرية ، التى لاتتعارض مع القيم الإسلامية وأدخل إلى البلاد أول سيارة وأول دراجة ، فانتشرت بعد ذلك السيارات والقاطرات ووسائل النقل والاتصالات الحديثة، وأخذ بنظام القياس المترى، لكنه وقف بحزم ضد سريان الفكر الغربى فى البلاد [٢].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد أثرت رحلة عبد الحميد إلى أوروبا أيضاً فى إتباعه سياسة استقلالية تجاه أوروبا، ولم يعرف عن عبد الحميد تأثير أى حاكم أوروبى عليه، مهما كانت صداقته ، ومهما كانت درجة التقارب بينهما.

ولفت انتباه عبد الحميد أثناء هذه الرحلة الحوار الذى كان يجريه فؤاد باشا الصدر الأعظم العثمانى مع بعض الزعماء الأوربيين.

فتعلم عبد الحميد من هذا الحوار القدرة على إسكات القوى التى تود تحطيم الدولة العثمانية. فأدرك بذكاء قيمة الحوار السياسى وأهدافه وتأثيراته البعيدة ، وهو ما برع فيه بعد ذلك، وكان عمر عبد الحميد أثناء هذه الرحلة ٢٥ عامًا [٣].

بويع بالخلافة بعد أخيه مراد، يوم الخميس ١١ شعبان ١٢٩٣هـ / الموافق ٣١ أغسطس ١٨٧٦م، وكان عمره آنذاك أربعًا وثلاثين سنة، وحضر لمبايعته الوزراء والأعيان وكبار الموظفين من مدنيين وعسكريين فى سراى طوبقبو، وكان أول عمل قام به وضع دستور جديد للدولة العثمانية . وضعه الصدر الأعظم مدحت باشا .

وكان هذا الدستور ينص على أن البرلمان يتكون من مجلسين : مجلس النواب أو المبعوثات ثم مجلس الأعيان أو الشيوخ [٤].

كما كان الدستور ينص على فصل السلطات من حيث الشكل لا المضمون ، كما أن التغييرات التى طرأت على نظام الحكم طبقًا لهذا الدستور كانت من قبيل التوطر، فلم يفكر أحد فى تقليص حق السلطان فى السيادة، كما نص الدستور على أن شخص السلطان مصون لايمس، وأنه لايسأل أمام أحد من أعماله، ومن ثم كان الدستور مرتهنًا بشخصه [٥]، فله وحده حق تعيين وإقالة الوزراء، كما أنه هو الذى يعقد المعاهدات ، ويعلن الحرب ويعقد معاهدات الصلح، وهو القائد العام للقوات المسلحة ، ومن حقه إصدار كافة القوانين فى شتى المجالات دون الرجوع إلى البرلمان .

ونص الدستور أيضًا على حرية أعضاء البرلمان فى إبداء آرائهم وفى التصويت ، كما أنه لايمكن محاكمتهم إلا إذا تجاوزوا حدود قوانين المجلس، وحدد الدستور اللغة التركية العثمانية باعتبارها اللغة الرسمية للدولة التى يجرى بها الحديث فى كل الجلسات ، كما نص أن يكون التصويت سريًا أو علنيًا بحسب الظروف ، وعلى أن يقر مجلس النواب الميزانية دون تدخل من جانب السلطان بعكس الحال فيما يتعلق بالقوانين العادية.

وأما بالنسبة لحقوق الأفراد فقد أعلن الدستور أن العثمنة هى السياسة الرسمية للدولة فى إطار مبدأ المساواة الذى نصت عليهي التنظيمات .

وقد أمر السلطان عبد الحميد بأن يوضع الدستور موضع التنفيذ، وبأن تجرى انتخابات عامة، كانت الأولى من نوعها فى التاريخ العثمانى [٦]. وبعد إعلان الدستور والعمل به لمدة عشرة شهور وعشرين يومًا أعلن السلطان عبد الحميد تعطيل الدستور وذلك بعد أن تعرض إلى استبداد الوزراء بزعامة مدحت باشا ورغبتهم تغريب الدولة، وظهور جمعية العثمانيين الجدد التى كانت تضم نخبة من المثقفين العثمانيين المتزثرين ببريق النظم والحضارة الأوربية. كما أن انعقاد مجلس الوزراء توقف ، ولم يدفع هذا المجلس للاجتماع ثانية لمدة ثلاثين عامًا ، ولم تفتح خلالها قاعة المجلس ولا مرة واحدة.

لقد كان السلطان عبد الحميد مضطراً لإعلان الدستور بسبب الضغوط التى مارسها عليه مدحت باشا ، ولذلك عندما أتيحت له الفرصة قام بتعطيل الدستور وعدم عقد المجلس.

إن السلطان عبد الحميد الثانى كان ضد أن تكون هناك شروط تحدد سلطته على اعتبار أن هذا فمر وافد من الغرب ، ولذلك كان ضد سياسة رئيس وزرائه مدحت باشا ولذلك انتقد وزيره هذا بقوله : (لم ير غمير فوائد الحكم المشروطى فى أوروبا، لكنه لم يدرس أسباب هذه المشروطية ولا تأثيراتها الأخرى. أقراص السلفات لاتصلح لكل مرض ولكل بنية، وأظن أن أصول المشروطية لاتصلح لكل شعب ولكل بيئة قومية . كنت أظن أنها مفيدة أما الآن : فإنى مقتنع بضررها) [٧].

كان للسلطان حججه فى هذا ، منها سوء تصرف المنادين بالدستور فى أول استجابة للسلطان لأفكارهم ، من ذلك:

- أن طلبت الحكومة من السلطان فى وقت إعلان السلطان للدستور ، أن يوقع على بعض قرارات منها تعيين ولاة نصارى فى ولايات أغلب السكان فيها من المسلمين ، وعلى قرار بقبول طلبة من النصارى فى الكلية الحربية العثمانية التى هى عماد الجيش العثمانى، فرفض السلطان التوقيع فما كان من مدحت باشا - وهو الصدر الأعظم - إلا أن قال للسلطان : (إن مقصدنا من إعلان الدستور أن ننهى استبداد القصر، ويجب على جلالتكم أن تعرف واجباتكم)[٨].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ومن الأسباب التى يسوقها السلطان عبد الحميد فى رفضه للفكر الدستورى قوله : (إن الدولة العثمانية دولة تجمع شعوبًا شتى، والمشروطية فى دولة كهذه موت العنصر الأصلى فى البلاد، وهل فى البرلمان الإنكليزى نائب هندى واحد ؟ وهل فى البرلمان الفرنسى نائب جزائرى واحد ؟)[٩].

ويبين السلطان عبد الحميد بأن موقفه هذا ليس دائمًا تجاه الحكم الدستورى، فالظروف التى كان يحكم فيها ، إذا اختلتف ، فستختلف وجهة نظره فى الحكم الدستورى .

وفى هذا يقول : «ينبغى ألا يظن أن فكرى واقتناعى دائمًا ضد الحكم الذى يعتمد على أصول المشروطية)[١٠].

إن السلطان عبد الحميد مر عصره بظروف عصيبة، وأزمات شديدة ، وتآمر عالمى على الدولة العثمانية من الداخل والخارج ، فشرع فى إصلاح الدولة وفق الأسس الإسلامية لمنع التدخل الأوروبى فى شؤون الدولة، وحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية، وقام بإبعاد

الكتاب والصحفيين المتأثرين بالفكر الغربى عن العاصمة، وقاوم كافة الاتجاهات الغربية المخالفة للحضارة الإسلامية المجيدة فى ولايات الدولة، واستطاع أن يشكل جهازاً استخبارياً قوياً لحماية الدولة من الداخل وجمع معلومات عن أعدائه فى الخارج، واهتم بفكرة الجامعة الإسلامية وحقق بها نتائج عظيمة، واهتز الأوروبيون من هذا التفكير الاستراتيجى العميق وعملوا على تفتيتها .

لقد تكلم السلطان عبد الحميد عن جهاز مخابراته وبين الغرض منه فقال : (حسب العرق العثمانى يتعرف السلطان على تفكك الرعية وشكواها عن طريق جهاز الحكم، ومن ولاته وقضاته من جانب ، وعن طريق التكايا المنتشرة فى ربوع البلاد بمشايخها ودراويشها من جانب آخر، فيجمع كل هذه الأخبار ويدبر البناء عليها).

لقد شهد عصر السلطان عبد الحميد عدة ثورات الهدف منها التمرد والعصيان والخروج عن طاعة ولى الأمر. فلقد قام سكان الجبل الأسود والصرب بتحريض بلاد الهرسك للخروج عن الدولة العثمانية وكان ذلك فى عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م واستطاع العثمانيون إخماد هذا التحرك ، ورغب السلطان عبد الحميد فى منع الدول الأوروبية من التدخل، فأصدر قراراً بفصل القضاء عن السلطة التنفيذية ، وتعيين القضاة بالانتخاب عن طريق الأهالى، والمساواة فى الضرائب بين المسلمين والنصارى ... ولم يرض ذلك بعض السكان فى الأقاليم الأوربية ، فعادوا إلى الثورة التى قمعت أيضًا ، ولكن النمسا التى كانت وراء إشعال الثورة فى الدولة العثمانية ، فعملت النمسا مع روسيا وألمانيا وفرنسا وإنكلترا على الطلب من السلطان بالقيام بإصلاحات فوافق عليها السلطان، ولكن نصارى البوسنة لم يتقبلوا ذلك، وهذا يدل على أن المطالبة بالإصلاحات ليست سوى مبررات واهية، وحقيقة الأمر أنهم يريدون التدخل فى شؤون الدولة بشكل مباشر وغير مباشر لإضعافها والإطاحة بها [١١١].

كما قامت ثورة البلغار فى الوقت نفسه بدعم من نصارى البوسنة والهرسك وبتأييد من النمسا وروسيا، فقد تأسست جمعيات فى بلاد البلغار لنشر النفوذ الروسى بين النصارى الأرثوذكسى والصقالبة ، وكانت تدعمها روسيا وتمدها بالسلاح ، لإثارة سكان الصرب والبوسنة والهرسك من النصارى، وتحرضهم على الثورة ضد العثمانيين، ومساعدتهم بالمال والسلاح، فتمكنت الدولة العثمانية من القضاء على تلك الثورة ، فأخذت الدول الأوروبية تثير الشائعات عن المجازر التى ارتكبها العثمانيون ضد النصارى، والعكس هو الصحيح .

وبهذه الشائعات أثير الرأى العام الأوروبى ضد الدولة العثمانية ، وطالبت الحكومات الأوروبية باتخاذ إجراءات صارمة ضد العثمانيين ومنها حصول البلغار على استقلال ذاتى وتعيين حاكم نصرانى لهم (١٢).

وقام الروس والألمان والنمساويون بدفع الصرب والجبل الأسود للقيام بحرب ضد العثمانيين، وتمكنت الدولة العثمانية من الانتصار على الصرب وحلفائهم ، فتدخلت الدول الأوروبية وطلبت وقف القتال وإلا فالحرب سوف يتسع نطاقها (١٣).

لقد كان السلطان عبد الحميد الثانى على يقين من أن هدف الدول الغربية هو السعى لسقوط الدولة العثمانية ، حيث قال فى مذكراته : «رأيت أثناء مؤتمر الدول الكبرى الذى عقد فى إسطنبول ما عزمت عليه هذه الدول، وهى ليست كما يقولون تأمين حقوق الرعايا المسيحيين بل تأمين الاستقلال الذاتى لهؤلاء الرعايا، ثم العمل على استقلالهم التام، وبذلك يتم تقسيم الدولة العثمانية . حسب مخططاتهم العدوانية .

فكانوا يعملوا على تقسيم الدولة العثمانية بطرق عديدة منها :

أولاً: إثارة الأهالى المسيحيين بامتيازات خاصة بهم، وبهذا تتصدى هذه الدول لحماية مطالبهم بهدف تعكير الجو السياسى فى الدولة العثمانية.

ثانيًا : المطالبة بالمشروطية ، لإحداث الفرقة بين المواطنين فى الدولة العثمانية.

كانت روسيا ترغب فى الوصول إلى المياه الدافئة بسبب عوامل دينية واقتصادية وجغرافية، وقد سجل (بطرس الأكبر) ١٦٢٧-١٧٢٥م فى وصيته للروس (فى الفقرات التاسعة والحادية عشرة والثالثة عشرة) منها على ضرورة إثارة مبدأ الصراع الحضارى ضد العثمانيين إلى أن تنتهى الدولة العثمانية من الوجود.

وقد اهتمت روسيا بهذه الوصية، وفى عصر السلطان عبد الحميد كثرت الثورات فى المناطق المحاذية لروسيا بدعم من روسيا والدول الأوربية وخاصة فى مناطق البلقان واليونان وغيرهما من الأقاليم العثمانية ، وأدت هذه الثورات إلى قيام دول نصرانية مستقلة مثل رومانيا وبلغاريا والصرب واليونان فتصدت قوات الدولة العثمانية لهذه الثورات وحققت انتصارات رائعة فى البلقان ، فقام السلطان عبد الحميد بعمل تغيير كبير فى قيادات الجيوش العثمانية للتصدى للغزو الروسى، وقد حاول الروس الاستيلاء على مدينة (بلفته) التى تقع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى بلغاريا حاليًا وهى من أهم المعابر إلى البلقان ، ولكن القائد العثمانى الشجاع الغازى (عثمان باشا) تصدى لهم بكل شجاعة ، فردهم على أعقابهم منهزمين، فأعادوا الهجوم مرة أخرى بقوات أكثر كثافة ، ومع ذلك نجح القائد العثمانى الفذ فى التصدى للروس مرة أخرى ، مما جعل السلطان العثمانى يصدر مرسومًا خاصًا فى الثناء على ذلك القائد (١٤).

وأمام هذا الصمود حاول الروس التغيير من سياستهم فى الاستيلاء على هذه المدينة واتبعوا سياسة الحصار لها، وحاولوا منع الإمدادات من الوصول إلى الجيوش العثمانية فيها، وعززوا قواتهم ، ومع هذا صمد العثمانيون بقيادة عثمان باشا صمود الأبطال ، وأعدوا خطة رائعة لهجوم معاكس على خطوط العدو المحاصر لهم، فتمكنوا من اختراق الخط الأول للمحاصرين والخط الثانى واستولوا على المدافع فيه ، وأصيب القائد عثمان باشا ببعض الجراح عند الخط الثالث، فسرت إشاعة قوية بين جنده باستشهاده فأدى ذلك إلى استسلام الجنود العثمانيين للقوات الروسية، وكان ذلك فى عام ١٢٩٤هـ أواخر سنة ١٨٧٧م، وقد شجعت تلك الانتصارات الروسية الصرب فى البلقان على التحرك ضد العثمانيين، وقامت جيوشهم بالهجوم على المواقع العثمانية هناك، فأشغلتهم عن الروس، وتمكن الروس من الاستيلاء على صوفيا (عاصمة بلغاريا حاليًا) وتوجهوا جنوبًا ناحية العاصمة العثمانية، ووصلوا إلى مواقع لاتبعد سوى خمسين كيلو متراً عن إسطنبول ، وأصبح الموقف داخل الدولة العثمانية سيئًا إلى أبعد الحدود .

وفى الوقت نفسه كانت تجرى العديد من المعارك بين العثمانيين والروس فى الجانب الآسيوى ، حيث وصل الروس إلى الأناضول ، ومع ذلك تمكن العثمانيون من هزيمتهم ومطاردتهم داخل الأراضى الروسية، وانتصر العثمانيون بقيادة أحمد مختار باشا على الروس فى أكثر من ست معارك ، مما جعل السلطان عبد الحميد يصدر مرسومًا فى الثناء عليه ، وقد عاد الروس إلى الهجوم فى تلك المناطق مرة أخرى، وتمكنوا سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م من إنزال الهزائم بالقوات العثمانية والاستيلاء على بعض المناطق المهمة فى الأناضول نفسها(١٥).

وأمام تلك الهزائم العثمانية فى أوروبا وفى آسيا اضطرت الدولة العثمانية للدخول فى هدنة مع الروس وقبول المفاوضات معهم، حيث وقعت بين الطرفين معاهدة سان ستيفانو عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م . وعقدت هذه المعاهدة فى ٣ مارس عام ١٨٧٨م، ووقعها «صفوت باشا»

عن الدولة العثمانية وهو يبكى، وكان لابد بالضرورة أن تحتوى هذه المعاهدة على شروط مجحفة بالدولة العثمانية [١٦].

معاهدة سان ستفانو (١٢٩٥هـ / ١٥ فبراير ١٨٧٨م)

عند التوقيع على هذه المعاهدة قدم المندوب الروسى شروطًا مسبقة ، وطلب التوقيع عليها مباشرة ، وإلا تتقدم الجيوش الروسية وتحتل إسطنبول ، ولم يكن للعثمانيين من خيار سوى التوقيع على المعاهدة.

كما استاءت بريطانيا لازدياد النفوذ الروسى فى البلقان، واستعدت لمحاربة روسيا وحصلت من الدولة العثمانية على حق احتلال جزيرة قبرص (يونيو ١٨٧٨م) وإدارتها على أن تبقى تابعة للدولة العثمانية ، ولم يكن السلطان عبد الحميد الثانى راضيًا فى الأصل بدخول هذه الحرب ، لذلك لم يصدق على المعاهدة وقام بجهود سياسية ودبلوماسية مكثفة ، حتى أقنع بريطانيا بالوقوف إلى جانبه ، وبذلك ضمن عقد مؤتمر آخر (مؤتمر برلين) لتخفيف آثار معاهدة سان ستيفانو من ناحية ، وإخافة روسيا بمنافستها بريطانيا ، لكى تصرف روسيا النظر عن الحرب من ناحية أخرى، واستطاع بذلك تحقيق مكاسب سياسية للدولة العثمانية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ودلت هذه الأحداث على رغبة السلطان عبد الحميد الثانى ضرب الخصم بالخصم، والتى تمثلت فى إحداث النفور بين دولة روسيا ودولة ألمانيا أيضًا [١٧].

مؤتمر برلين (١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م) :

حضر ذلك المؤتمر الدول الكبرى (إنكلترا ، فرنسا ، ألمانيا، والنمسا)، وجرى البحث فى هذا المؤتمر لتعديل معاهدة سان ستفانو التى عقدت بين روسيا والدولة العثمانية، وذلك لمعارضة الدول المعنية لهذه المعاهدة لأنها لاتتفق مع مصالحها الاستراتيجية ... واتفق المؤتمرون على تعديل معاهدة سان ستيفانو وعقدت معاهدة برلين والتى تناولت الشروط التالية:

١- استقلال بلغاريا وتعديل فى حدودها.

٢- ضم البوسنة والهرسك للنمسا .

٣- ضم بسارابيا إلى روسيا بعد اقتلاعها من رومانيا.

٤- استقلال الصرب والجبل الأسود.

٥- ضم مدن قارص وردهان وباطوم لروسيا .

٦- قرر المؤتمر الإبقاء على الغرامة الحربية التى قررتها معاهدة سان ستفانو على الدولة العثمانية ومقدارها ٢,٥ مليار ليرة ذهبية.

٧- الموافقة على تحسين أوضاع النصارى فى جزيرة كريت [١٨].

وهكذا فإن مؤتمر برلين من المعالم البارزة لتدهور الإمبراطورية العثمانية التى أرغمت على التنازل عن مساحات واسعة من أملاكها.

وهكذا كانت النتيجة من الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا، ولمواجهة هذه الأوضاع المتردية كان على السلطان أن يتخذ لقب الخلافة لمواجهة التحديات الجديدة، وعمل على إنشاء الجامعة الإسلامية لكى يعمل على تكتل كافة المسلمين من حوله فى الداخل والخارج .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المبحث الثانى

الجامعة الإسلامية والعمل على توحيد الدولة

لم تظهر فكرة الجامعة الإسلامية، فى معترك الدولية إلا فى عهد السلطان عبد الحميد، وبالضبط بعد ارتقاء السلطان عبد الحميد عرش الدولة العثمانية عام ١٨٧٦م.

ويعرب عبد الحميد الثانى عن ثقته فى وحدة العالم الإسلامى بقوله : (يجب تقوية روابطنا ببقية المسلمين فى كل مكان ، يجب أن نقترب من بعضنا البعض أكثر وأكثر ، فلا أمل فى المستقبل، إلا بهذه الوحدة ، ووقتها لم يحن بعد لكنه سيأتى اليوم الذى يتحد فيه كل المؤمنين وينهضون فيه نهضة واحدة ويقومون قومة رجل واحد وفيه يحطمون أهدافًا منها:

١- مواجهة أعداء الإسلام من المثقفين بالثقافة الغربية.

٢- محاولة إيقاف الدولة الاستعمارية الأوربية وروسيا عند حدها .

٣- إثبات أن المسلمين يمكن أن يكونوا قوة سياسية عالمية.

٤- تأخذ الوحدة الإسلامية الجديدة دورها فى التأثير على السياسة العالمية[١٩].

٥- تستعيد الدولة العثمانية بوصفها دولة الخلافة قوتها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول : (إن العمل على تقوية الكيان السياسى والاجتماعى الإسلامى، أفضل من إلقائه أرضًا ، وتكوين كيان غريب فكريًا واجتماعيًا على نفس الأرض) [٢٠].

السلطان عبد الحميد الثانى أيد الدعوة إلى تحقيق الجامعة الإسلامية التى روج لها كل من السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وقدم مشروعات أكبر بكثير من طموح السلطان، ولم يكن السلطان يأمل فى أكثر من وحدة هدف بين الشعوب الإسلامية، لكن الأفغانى عرض على السلطان مشروعًا يرمى إلى توحيد أهل السنة مع الشيعة، واستفاد السلطان عبد الحميد كثيراً من الأفغانى فى الدعاية إلى الجامعة الإسلامية، رغم الاختلاف بين فكر السلطان وفكر الأفغانى ، ومن أسباب الاختلاف :

١- إيمان الأفغانى بقضية وحدة المسلمين .

٢- دعوة الأفغانى لوحدة الشعوب الإسلامية.

٣- تنديد جمال الدين بالاستعمار الإنكليزى.

٤- الخلاف العقائدى الذى ظهر بين العلماء فى إسطنبول وبين جمال الدين الأفغانى وظهور كتاب الشيخ (خليل فوزى الفيليباوى) المعنون (السيوف القواطع) للرد على عقيدة الأفغاني وسكوت الأفغانى عن هذا، وعدم دفاعه عن نفسه.

أما رأى جمال الدين الأفغانى فى السلطان عبد الحميد فإنه يقول : (إن السلطان عبد الحميد لو وزن مع أربعة من نوابغ رجال العصر لرجحهم ذكاء ودهاء وسياسة، خصوصًا فى تسخير جليسه ، ولا عجب إذا رأيناه يذلل لك ما يقام لملكه من الصعاب من دول الغرب، ويخرج المناوئ له من حضرته راضيًا عنه وعن سيرته وسيره، ومقتنعًا بحجته سواء من ذلك الملك والأمير والوزير والسفير....)[٢١].

وقال : (ورأيته يعلم دقائق الأمور السياسية ومرامى الدول الغربية، وهو معد لكل هوة تطرأ على الملك، مخرجًا وسلمًا، وأعظم ما أدهشنى ، ما أعده من خفى الوسائل وأمضى العوامل، كى لا تتفق أوروبا على عمل خطير فى الممالك العثمانية، ويريها عيانًا محسوسًا أن تجزئة السلطنة العثمانية لايمكن إلا بخراب يعم الممالك الأوربية بأسرها)[٢٢].

ويقول : (أما ما رأيته من يقظة السلطان ورشده وحذره وإعداده العدة اللازمة لإبطال مكائد أوروبا وحسن نواياه واستعداده للنهوض بالدولة الذى فيه نهضة المسلمين عمومًا ، فقد دفعنى إلى مد يدى له فبايعته بالخلافة والملك، عالمًا علم اليقين أن الممالك الإسلامية فى الشرق لاتسلم من شراك أوروبا، ولا من السعى وراء إضعافها وتجزئتها ، وفى الأخير ازدرائها واحدة بعد أخرى، إلا بيقظة وانتباه عمومى وانضواء تحت راية الخليفة الأعظم....) [٢٣].

لقداستهدف السلطان عبد الحميد الطرق الصوفية فى كسب ولائها للدولة العثمانية ، والدعوة إلى فكرة الجامعة الإسلامية، واستطاع أن يكون رابطة بين مقر الخلافة- إسطنبول- وبين تكايا ومراكز تجمع الطرق الصوفية فى كل أنحاء العالم الإسلامى، واتخذ من حركة التصوف فى العالم الإسلامى وسيلة للدعاية للجامعة الإسلامية، وتكونت فى عاصمة الخلافة لجنة مركزية ، مكونة من العلماء وشيوخ الطرق الصوفية حيث عملوا مستشارين للسلطان فى شؤون الجامعة الإسلامية : الشيخ (أحمد أسعد) وكيل الفراشة الشريفة فى الحجاز، والشيخ (أبو الهدى الصيادى) شيخ الطريقة الرفاعية ، والشيخ (محمد ظاهر الطرابلسى) شيخ الطريقة المدنية، والشيخ رحمة الله عليه أحد علماء الحرم المكى، كانوا أبرز أعضاء هذه اللجنة للجامعة الإسلامية، وكان معهم غيرهم، وكانت الدولة العثمانية تنتشر فيها هيئات فرعية فى

فى كافة الأقاليم خاضعة لهذه اللجنة، ومن أهمها التى كانت فى مكة تحت إشراف شريف مكة ومهمتها نشر مفهوم الجامعة الإسلامية فى موسم الحج بين الحجاج، وأخرى فى بغداد ، وتقوم بالمهمة نفسها بين اتباع الطريقة القادرية، الذين يأتون بكثرة من الشمال الإفريقى لزيارة الشيخ عبد القادر الكيلانى مؤسس الطريقة ، وقد قدرت أعداد هؤلاء فى إحدى السنوات بحوالى (٢٥,٠٠٠) نسمة، وكانت لجنة بغداد تقوم بتهيئة القادمين لحمل فكرة الجامعة الإسلامية، ولمقاومة الاستعمار الفرنسى فى شمال إفريقيا، ووصفت المخابرات الفرنسية ما قام به هؤلاء القادمون من أهل الشمال الإفريقى من بغداد ، من أعمال ضد الفرنسيين وضد الاستعمار الفرنسى بأنها : (استفزازات بعض رجال الدين التابعين للطريقة القادرية) [٢٤].

ولم تستطع المخابرات الفرنسية أن تكشف وسائل التنظيم للطرق الصوفية التابعة للخلافة الإسلامية فى شمال إفريقيا وكل ما استطاعت عمله، هو محاولتها إضعاف هيبة السلطان عبد الحميد فى نفوس مسلمى شمال إفريقيا، ومحاولة هذه السلطات ضرب سياسة الجامعة الإسلامية ، وذلك باتباع سياسة فرنسية تقوم على:

١- اغراء بعض شيوخ الطرق الصوفية بالمال والمركز للوقوف مع فرنسا وسياستها فى شمال إفريقيا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢- منع الحجيج من الحج ، واتخاذ أسباب صحية لتخويف الناس منه، مثل نشر أخبار عن وجود الكوليرا [٢٥].

وأرسل السلطان عبد الحميد مجموعة من الزهاد والمتصوفة إلى الهند، لتعمل على القضاء على المحاولات الإنكليزية الداعية إلى سلب الخلافة من العثمانيين، لإعطائها إلى العرب، واتصلت هذه القافلة أيضاً ببعض حكام الجزيرة العربية لاسيما الحجاز[٢٦].

لقد نجح السلطان عبد الحميد الثانى فى جمع الطرق الصوفية إلا أنه فضل السكوت عن كثير من إنحرافاتها العقدية بحيث أن الطرق الصوفية فى تلك المرحلة انحرفت عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما رحم الله، ولذلك أضعفت الأمة وأسهمت فى سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية السنية، وسنبين ذلك بإذن الله تعالى فى أسباب السقوط.

كان السلطان عبد الحميد يرى- منذ أن تولى الحكم- ضرورة اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للدولة العثمانية، وفى هذا يقول : (اللغة العربية لغة جميلة، ليتنا كنا اتخذناها لغة

رسمية للدولة من قبل، لقد اقترحت على (خير الدين باشا - التونسى- عندما كان صدراً أعظم أن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية ، لكن سعيد باشا كبير أمناء القصر اعترض على اقتراحى هذا، وقال : (إذا عربنا الدولة فلن يبقى- للعنصر التركى- شئ بعد ذلك).

إن من الأخطاء التى وقعت فيها الدولة العثمانية عدم تعريب الدولة وشعبها بلغة القرآن الكريم والشرع الحكيم.

عندما تولى السلطان عبد الحميد السلطنة رأى أن المدارس، ونظام التعليم أصبح متأثرا بالفكر الغربى، وأن التيار القومى : هو التيار السائد فى هذه المدارس، فتدخل فى شؤونها ووجها - من خلال نظرته السياسية - إلى الدراسات الإسلامية، فأمر بالآتى:

- استبعاد مادة الأدب والتاريخ العام من البرامج الدراسية لكونه وسيلة من وسائل الأدب الغربى ، والتاريخ القومى للشعوب الأخرى مما يؤثر على أجيال المسلمين سلبًا .

- وضع دروس الفقه والتفسير والأخلاق فى برامج الدراسة.

- الاقتصار فقط على تدريس التاريخ الإسلامى بما فيه العثمانى.

وجعل السلطان عبد الحميد مدارس الدولة تحت رقابته الشخصية ووجهها لخدمة الجامعة الإسلامية[٢٧].

واهتم بالمرأة وجعل للفتيات داراً للمعلمات ومنع اختلاطهن بالرجال، وفى هذا يذكر السلطان فى معرض الدفاع عن نفسه أمام اتهام جمعية الاتحاد والترقى له بأنه عدو العقل والعلم بأنه : (لو كنت عدواً للعقل والعلم فهل كنت أفتح الجامعة ؟ لو كنت هكذا عدواً للعلم، فهل كنت أنشئ لفتياتنا اللواتى لايختلطن بالرجال، داراً للمعلمات؟!) [٢٨].

وقام بمحاربة سفور المرأة فى الدولة العثمانية ، وهاجم تسرب أخلاق الغرب إلى بعض النساء العثمانيات .

وكان السلطان عبد الحميد يرى : (إن المرأة لاتتساوى مع الرجل من حيث القوامة) ، ويقول: (ما دام القرآن يقول بهذا ، فالمسألة منتهية ولا داعى للتحدث عن مساواة المرأة بالرجل) .

ويرى: (أن فكرة هذه المساواة إنما جاءت من الغرب) [٢٩].

كما كان يدافع عن تعدد الزوجات ، فى وقت كان الإعلام العثمانى يثير هذه القضية معترضًا عليها، ويؤكد السلطان أن مبدأ تعدد الزواجات مباح فى الإسلام فماذا يعنى الاعتراض عليه ؟

لقد كان السلطان عبد الحميد مع تعليم المرأة، ولذلك أنشأ داراً للمعلمات لتخريج معلمات للبنات كما كان ضد الاحتلاط بين الرجل والمرأة وضد سفور المرأة، ولم يكن فى عهده للمرأة رأى فى شئون الدولة مهما كانت هذه الشؤون وإنما دور المرأة فى البيت وتربية الأجيال ، وكان يعامل المرأة معاملة كريمة.

أنشأ السلطان عبد الحميد فى اسطنبول ، باعتبارها مقر الخلافة ومركز السلطنة (مدرسة العشائر العربية) من أجل تعليم وإعداد أولاد العشائر العربية، من ولايات حلب، وسورية ، وبغداد، والبصرة ، والموصل، وديار بكر، وطرابلس الغرب، واليمن، والحجاز، وبنغازى، والقدس، ودير الزور.

وكانت مدة الدراسة فى مدرسة العشائر العربية فى إسطنبول خمس سنوات ، وهى داخلية تتكفل الدولة العثمانية بكل مصاريف الطلاب ، ولكل طالب «إجازة صلة الرحم» وهى إجازة مرة كل سنتين، وسفر الطالب فيها على نفقة الدولة.

وبرنامج الدراسة فى هذه المدرسة خمس سنوات فى تعليم القرآن الكريم والتجويد والأبجدية والعلوم الدينية والقراءة التركية والإملاء والتدريب العسكرى والحساب واللغة الفارسية والنحو التركى والجغرافيا والتاريخ العثمانى والقواعد العثمانية والمعلومات المتنوعة ... الخ.

كما أنشأ السلطان عبد الحميد (معهد تدريب الوعاظ والمرشدين) أقيم لإعداد الدعاة للدعوة الإسلامية، وللجامعة الإسلامية ثم يتخرجون فينطلقون إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامى يدعون للإسلام ، ويدعون للخلافة، ويدعون للجامعة الإسلامية [٣٠].

تأسست فى بكين - عاصمة الصين- جامعة أطلق عليها المسلمون الصينيون اسم (دار العلوم الحميدية) نسبة إلى السلطان الخليفة عبد الحميد الثانى، وقد حضر افتتاح هذه الجامعة الآلاف من المسلمين الصينيين ، وحضره أيضًا مفتى المسلمين فى بكين، والكثير من علماء المسلمين هناك . وفى مراسم الافتتاح ، ألقيت الخطبة باللغة العربية، وإن إيراد الخطبة باللغة العربية لغة المسلمين الدينية، ورفع علم الدولة العثمانية على باب هذه الجامعة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد اهتم السلطان عبد الحميد بمشروع سكة حديد الحجاز الممتدة من دمشق إلى المدينة المنورة واعتبره وسيلة من الوسائل التى أدت إلى إعلاء شأن الخلافة ونشر فكرة الجامعة الإسلامية. وأبدى السلطان عبد الحميد اهتمامًا بالغًا بإنشاء الخطوط الحديدية فى مختلف أنحاء الدولة العثمانية مستهدفًا من ورائها تحقيق ثلاثة أغراض هى:

١- ربط أجزاء الدولة المتباعدة مما ساعد على نجاح فكرة الوحدة العثمانية والجامعة الإسلامية والسيطرة الكاملة على الولايات التى تتطلب تقوية قبضة الدولة عليها .

٢- إجبار تلك الولايات على الاندماج فى الدولة والخضوع للقوانين العسكرية التى تنص على وجوب الاشتراك فى الدفاع عن الخلافة بتقديم المال والرجال.

٣- تسهيل مهمة الدفاع عن الدولة فى أية جبهة من الجبهات التى تتعرض للعدوان، لأن مد الخطوط الحديدية ساعد على سرعة توزيع القوات العثمانية وايصالها إلى الجبهات [٣٠].

وكانت سكك حديد الحجاز من أهم الخطوط الحديدية التى أنشئت فى عهد السلطان عبد الحميد. ففى سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م بدأ بتشييد خط حديدى من دمشق إلى المدينة، ولم يكن الغرض من إنشاء هذا الخط مجرد خدمة حجاج بيت الله الحرام وتسهيل وصولهم إلى مكة والمدينة ، وإنما كان السلطان عبد الحميد يرمى من ورائه أيضًا إلى أهداف سياسية وعسكرية.

وكان أول قطار قد وصل إلى محطة سكة الحديد فى المدينة المنورة من دمشق الشام يوم الموافق ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٠٨م، وكان بمثابة تحقيق حلم من الأحلام بالنسبة لمئات الملايين من المسلمين فى أنحاء العالم كافة، فقد اختصر القطار فى رحلته التى استغرقت ثلاثة أيام وقطع فيها ٨١٤ ميلاً مشقات رحلة كانت تستغرق فى السابق أكثر من خمسة أسابيع، كما خفقت فى ذلك اليوم التاريخى قلوب أولئك الذين كانوا مشتاقين إلى القيام بأداء فريضة الحج المقدسة[٣٢].

كانت سياسة عبد الحميد إسلامية محضة ، فأراد أن يجمع قلوب المسلمين حوله باعتباره خليفة المسلمين جميعًا فكان مد خط السكة الحديدى بين الشام والحجاز من الوسائل الجميلة فى تحقيق هدفه المنشود [٣٣].

شرعت بريطانيا منذ الربع الأول من القرن العشرين الميلادى فى تحريض الأكراد ضد الدولة العثمانية، بهدف إيجاد عداء عثمانى كردى من ناحية، وانفصال الأكراد بدولة تقتطع من الدولة العثمانية من ناحية أخرى.

وضع السلطان عبد الحميد خطة مضادة للعمل التدميرى الإنكليزى فقام بالتالى:

- قامت الدولة العثمانية بحماية المواطنين الأكراد من هجمات الأرمن الدموية ضدهم.

- أرسل إلى عشائر الأكراد وفوداً من المسلمين للنصح والإرشاد والدعوة إلى الاجتماع تحت دعوة الجامعة الإسلامية، وأدت هذه الوفود دورها فى إيقاظ الأكراد تجاه الأطماع الغربية.

- اتخذ السلطان عبد الحميد إجراءات يضمن بها ارتباط أمراء الأكراد به وبالدولة.

- أسس الوحدات العسكرية الحميدية فى شرق الأناضول من الأكراد، للوقوف أمام الاعتداءات الأرمنية.

- كان موقف الدولة قويًا ضد أطماع الأرمن فى إقامة دولة تقطع من أراضيها، وبذلك شعر الأكراد المقيمون فى نفس المنطقة بالأمان [٣٤].

- عملت الدولة على كشف مخططات الإنكليز الهادفة إلى تفتيت الدولة العثمانية تحت مسمى حرية القوميات فى تأسيس كل قومية دولة مختصة بها.

استطاع السلطان عبد الحميد أن يضيق على النفوذ البريطانى فى اليمن ويحقق نجاحًا ظاهراً فى صراعه مع الإنكليز فى تلك المنطقة، فقد أنشأ فرقة عسكرية فى اليمن قوامها ثمانية آلاف جندى، لإعادة اليمن إلى الدولة العثمانية مرة أخرى، وقد حاول الإنكليز إذكاء نيران التمرد فى اليمن، ضد الدولة العثمانية ولكن السياسة الحكيمة التى سار عليها السلطان عبد الحميد كفلت له النجاح فى اليمن [٣٥].

كانت إيطاليا تحلم بضم شمال إفريقيا ، لأنها تراه ميراثًا إيطاليا، هكذا صرح رئيس وزرائها (ماترينى) [٣٦]، لكن فرنسا احتلت تونس وإنكلترا احتلت مصر ، ولم يبق أمام إيطاليا إلا ليبيا .

رسمت ايطاليا سياستها فى ليبيا على ثلاث مراحل :

الأولى : الحلول السلمية، بإنشاء المدارس والبنوك وغيرها من «مؤسسات خدمية» .

الثانية: العلم على أن تعترف الدول بأطماع ايطاليا فى احتلال ليبيا ، بالطرق الدبلوماسية.

الثالثة : إعلان الحرب على الدولة العثمانية والاحتلال الفعلى .

وكان السلطان عبد الحميد متيقظًا لتلك الأطماع الإيطالية، وطلب معلومات من مصادر مختلفة عن نشاط الإيطاليين فى «لبيبيا» وأهدافهم ، فجاءته المعلومات تقول : (إن للإيطاليين بمدارسهم وبنوكهم ومؤسساتهم الخيرية التى يقيمونها فى الولايات العثمانية، سواء فى ليبيا فى ألبانيا ، هدفًا أخيراً هو تحقيق أطماع إيطاليا فى الاستيلاء على كل من:

١- طرابلس الغرب.

٢- ألبانيا .

٣- مناطق الأناضول الواقعة على البحر الأبيض المتوسط: أزمير - الإسكندرونة- أنطاكيا) .

لما شعر السلطان عبد الحميد الثانى أنه سيواجه اعتداءً إيطاليًا مسلحًا على ليبيا ، قام بإمداد القوات العثمانية فى ليبيا بـ (١٥٠٠٠) جندى لتقويتها وظل يقظًا حساسًا تجاه التحركات الإيطالية، ويتابعها شخصيًا وبدقة، ويطالع كل ما يتعلق بالشؤون الليبية بنفسه بواسطة سفير الدولة العثمانية فى روما، ووالى طرابلس مما جعل الإيطاليين يضطرون إلى تأجيل احتلال ليبيا، وتم لهم ذلك فى عهد جمعية الاتحاد والترقى[٣٧].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المبحث الثالث

السلطان عبد الحميد واليهود

إن حقيقة الصراع بين السلطان عبد الحميد الثانى واليهود من أهم الأحداث فى تاريخ السلطان المسلم الغيور عبد الحميد الثانى.

إن أمر اليهود وعداءهم للإسلام يعود جذوره إلى ظهور الإسلام منذ أن انتصر الإسلام وأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدنية المنورة لخيانتهم المتكررة وعداوتهم الدائمة ومن ثم عن سائر الجزيرة العربية فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهم يكيدون له، وقد تظاهر بعضهم بالإسلام وبث السموم فى جسم الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، وما عبدالله بن سبأ والقرامطة والحشاشون والراوندية والدعوات الهدامة التى ظهرت فى تاريخ المسلمين عنهم ببعيد.

إن اليهود تمتعوا بكافة الامتيازات والحصانات بموجب قوانين رعايا الدولة [٣٨]، ووجدوا السلم والأمان وحرية الوجود الكامل فى الدولة العثمانية [٣٩].

وبالنسبة ليهود الدونمة هناك مفاهيم عديدة لكلمة الدونمة، إذ أن الكلمة من الناحية اللغوية مشتقة من الكلمة التركية (دونمك) التى تعنى الرجوع أو العودة أو الارتداد. أما المفهوم الاجتماعى لهذه الكلمة فإنه يعنى المرتد أو المتذبذب، بينما تعنى هذه الكلمة من الناحية الدينية مذهبًا دينيًا جديداً، دعا إليه الحاخام ساباتى زيفى. أما المفهوم السياسى لهذه الكلمة فإنه يعنى اليهود المسلمين الذين لهم كيانهم الخاص [٤٠]. وقد أطلق المعنى الخاص بالدونمة منذ القرن السابع عشر على اليهود الذى يعيشون فى المدن الإسلامية وخاصة فى ولاية سلانيك، وأطلق العثمانيون اسم الدونمة على اليهود لغرض بيان وتوضيح العودة من اليهودية إلى الإسلام، ثم أصبح علمًا على فئة من يهود الأندلس الذين لجؤوا إلى الدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق العقيدة الإسلامية[٤١].

إن مؤسس فرقة الدونمة هو شبتاى زيفى الذى ادعى بأنه المسيح المنتظر فى القرن السابع عشر، حيث انتشرت فى تلك الأيام شائعة تقول: إن المسيح سيظهر فى عام ١٦٤٨م، كى يقود اليهود فى صورة المسيح، وإنه سوف يحكم العالم فى فلسطين، ويجعل القدس عاصمة الدولة اليهودية المزعومة[٤٢].

قام يهود الدونمة بدور فعال فى نصرة القوى المعادية للسلطان عبد الحميد والتى تحركت من سلانيك لعزله ، وهم الذين سمموا أفكار الضباط الشباب ، وفى الصحف ودور النشر وتغلغلوا فى الاقتصاد العثمانى وكل مناحى الحياة فى الدولة العثمانية [٤٣].

وفى حقيقة الأمر اهتم عبد الحميد بإبقاء الدونمة فى ولاية سالونيك وعدم وصولهم إلى الآستانة ، بغية عدم السيطرة عليها والتجنب من تحركاتهم ، ونتيجة للموقف الجاد من عبد الحميد إزاء فرقة الدونمة اتبعوا استراتيجية مضادة له ، حيث تحركوا ضده على مستوى الرأى العام العثمانى والجيش[٤٤].

ونتيجة لموقف عبد الحميد من الدونمة [٤٤]، قام يهود الدونمة بالتعاون مع المحافل الماسونية للإطاحة به، وقد استخدم هؤلاء شعارات معينة كالحركة الديمقراطية وإزاحة المستبد عبد الحميد، وعلى هذا الأساس قاموا بنشر الشقاق والتمرد فى الدولة العثمانية بين صفوف الجيش، وكانت الغاية من هذا هى تحقيق المشروع الاستيطانى الصهيونى باستيطان فلسطين، وكان يهود الدونمة يشكلون اللبنة الأولى لتنفيذ المخططات اليهودية العالمية [٤٥].

استطاع زعيم الحركة اليهودية الصهيونية العالمية (تيودر هرتزل) أن يتحصل على تأييد أوروبى للمسألة اليهودية من بعض الدولة الأوربية وهى: (ألمانيا ، وبريطانيا، وفرنسا) وجعل من هذه الدول قوة ضغط على الدولة العثمانية تمهيداً لمقابلة السلطان عبد الحميد وطلب فلسطين منه، وكانت الدولة العثمانية تعانى من مشاكل مالية متعددة ، إذ كانت الأحوال الاقتصادية فى البلاد على درجة من السوء بحيث فرضت الدول الأوربية الدائنة وجود بعثة مالية أوروبية فى تركيا العثمانية للإشراف على أوضاعها الاقتصادية ضماناً لسداد ديونها، الأمر الذى دفع السلطان عبد الحميد الثانى أن يجد حلاً لهذه المعضلة.

كانت هذه الثغرة هى السبيل الوحيد أمام هرتزل ، كى يؤثر على سياسة السلطان عبد الحميد الثانى تجاه اليهود، وفى هذا الصدد يقول هرتزل فى مذكراته: (علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية فى تركية، مليونان منها ثمناً لفلسطين والباقى لتحرير تركيا العثمانية بتسديد ديونها تمهيداً للتخلص من البعثة الأوروبية ، ومن ثم تقوم بتمويل السلطان بعد ذلك بأى قروض جديدة يطلبها [٤٦].

كان السلطان عبد الحميد من خلال مقابلته مع هرتزل مستمعاً أكثر منه متكلماً وكان يرخى

لهرتزل فى الكلام كى يدفعه أن يتحدث بكل ما يخطر فى مخيلته من أفكار ومشروعات ومطالب، وقد أدى هذا الأمر إلى أن يعتقد هرتزل بأنه نجح فى مهمته هذه، ولكنه أدرك فى نهاية الأمر بأنه قد أخفق فى اقناع السلطان وأن محادثاته أخذت تسير فى طريق مسدود معه(٤٧).

ونتيجة لذلك ، تحدث هرتزل قائلاً : (فى حالة منح السلطان فلسطين لليهود، سنأخذ على عاتقنا تنظيم الأوضاع المالية ، أما فى القارة الأوروبية فإننا سنقوم بإيجار حصن منيع ضد آسيا، وسوف نبنى حضارة ضد التخلف ، كما سنبقى فى جميع أنحاء أوروبا بغية ضمان وجودنا) (٤٨).

وفى الحقيقة كان السلطان عبد الحميد الثانى يرى أنه من الضرورى عدم توطين اليهود فى فلسطين ، كى يحتفظ العنصر العربى بتفوقه الطبيعى، وفى هذا الصدد يقول : (... ولكن لدينا عدد كاف من اليهود، فإذا كنا نريد أن يبقى العنصر العربى متفوقًا ، علينا أن نصرف النظرة عن كفرة توطين المهاجرين فى فلسطين وإلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضًا تملكوا كافة قدراتها خلال وقت قصير، ولذا نكون قد حكمنا على إخواننا فى الدين بالموت المحتم)(٤٩).

وعن القدس يقول السلطان عبد الحميد فى استماعه إلى (تيودور هرتزل) معرفة الآتى:

١- حقيقة الخطط اليهودية .

٢- معرفة قوة اليهود العالمية ومدى قوتها .

٣- إنقاذ الدولة العثمانى من مخاطر اليهود (٥١).

ولقد اتخذ السلطان عبد الحميد الثانى كل التدابير اللازمة فى سبيل عدم بيع الأراضى إلى اليهود فى فلسطين ، وعدم إعطاء أى امتياز لليهود، ويعزز هذا القول هرتز عندما قال: (إنى أفقد الأمل فى تحقيق أمانى اليهود فى فلسطين، وإن اليهود لن يستطيعوا دخول الأرض الموعودة، ما دام السلطان عبد الحميد قائما فى الحكم ، مستمراً فيه) (٥٢).

وتحركت الصهيونية العالمية ، لتدعم أعداء السلطان عبد الحميد الثانى، وهم المتمردون الأرمن، والقوميون فى البلقان، وحركة حزب الاتحاد والترقى، والوقوف مع كل حركة انفصالية عن الدولة العثمانية(٥٣) ونجحت مخططاتهم فى عزل السلطان عبد الحميد الثانى عن الحكم.

المبحث الرابع
السلطان عبد الحميد وجمعية الاتحاد والترقى

كان الشاب العثمانى المثقف فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر قد تأثر بأفكار الثورة الفرنسية، التى حققت حكمًا ديموقراطيًا فى فرنسا وأتت بأفكار القومية والعلمانية والتحرر من حكم الفرد ، وكذلك تأثر بالحركة القومية الايطالية التى قادها (ماتزينى) بنظمها وخلاياها، وكانت الدولة العثمانية قد تعرضت لحملات عسكرية وإعلامية ، غرضها إضعاف الدولة ومن ثم العمل على تفتيتها ، وكانت الدول الأوربية تتخذ من أوضاع النصارى فى الدولة حجة للتدخل، وفى هذه الظروف وبالضبط فى عام ١٨٦٥م، كان ستة من الشباب العثمانيين المثقفين يسيرون فى حديقة فى ضواحى إسطنبول تسمى (غابة بلغراد)، تحدث هؤلاء الشباب فى موضوعات سياسية، وخرجوا بفكرة تكوين جمعية سرية، على نمط جمعية (إيطاليا الفتاة) التى أسها الزعيم الإيطالى (ماتزينى) عام ١٨٣١م، بهدف الوحدة الإيطالية تحت راية الجمهورية ، أطلق هؤلاء الشباب على جمعيتهم هذه اسم (اتفاق الحمية) ، ومن ضمن هؤلاء الشباب الشاعر الذى أصبح فيما بعد واسع الشهرة : نامق كمال . ورأوا أن العمل لابد أن يكون فى تعريف الشعب بحقوقه السياسية، وحصوله عليها، وبالتالى فإن رغبة الشعوب النصرانية فى الاستقلال بمناطقها عن الدولة، أعلن لها ما يبررها من تدخل أجنبى بحجة مساندة الأقليات الدينية، وكانوا يرون أن إنقاذ الدولة فى حالة التردى التى وصلت إليها يكون بإيجاد نظام سياسى ديموقراطى ، وكان فى فرنسا فى تلك الفترة مصطفى باشا الأمير المصرى الذى نازع فؤاد باشا الرغبة فى تولى عرش مصر ، وفى فرنسا أعلن الأمير أنه ضمن التيار المنادى بالدستور فى الدولة العثمانية ، وقدم نفسه بعبارة تمثل حزب تركيا الفتاة وأعجب هذا الاسم المجتمعات الأوروبية المعنية فشاع اسم «حزب تركيا الفتاة» فى أوروبا.

ويذكر مؤسس جمعية الاتحاد- وهو إبراهيم تيمو- أنه كان يمضى أوقاته فى الخارج- حتى عام ١٨٩٥م- بمحاولة كسب أعضاء جدد لمنظمتهم ، لتربيتهم تربية ثورية ويعقد الاجتماعات السرية، وقراءة الأعمال الأدبية التى ألفها أعضاء جمعية العثمانيين الجدد، مثل نامق كمال وضياء باشا، وقراءة منشورات على شفقتى بك- عضو كلاتى الماسونية- وكان فاراً فى أوروبا(٥٤).

كان اسم الجمعية فى الأوساط العسكرية هو (الاتحاد العثمانى) ، وكان أحمد رضا بك - ممثل الجناح المدنى- متأثراً بزفكار الفيلسوف (أوغسطت كانت) وكان دستور هذا الفيلسوف هو : (النتظام والترقى) ، فأخذ أحمد رضا كلمة (الترقى) استلهامًا من دستور «كانت» ، واحتفظ العسكريون باسم (الاتحاد) واتفق الجميع أن تكون جمعيتهم باسم (الاتحاد والترقى)[٥٥].

لقد قامت جمعية الاتحاد والترقى على إثارة المشاعر القومية عند الأتراك ، تحت حلم الطورانية، (والطورانية تسمية تشير إلى وطن الأتراك الأصلى، ونسبته إلى جبل توران الواقع فى المنطقة الشمالية الشرقية فى إيران)[٥٦]، وقد نادت بمفاهيم جديدة مثل الوطن والدستور والحرية ، وكانت هذه المفاهيم غريبة على العثمانيين، وقد ضمت فى صفوفها مجموعة من الشباب المثقفين الأتراك، بالإضافة إلى يهود الدونمة، وكانت الغاية منها الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد الثانى [٥٧].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المبحث الخامس

الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد الثانى

كان السلطان عبد الحميد الثانى شديد الحذر من جمعية الاتحاد والترقى المدعومة من اليهود والمحافل الماسونية والدول الغربية ، واستطاع جهاز مخابرات السلطان عبد الحميد أن يتعرف على الحركة ويجمع المعلومات عنها؛ إلا أن هذه الحركة كانت قوية ، وقد جاءت مراقبة عبد الحميد لأعضاء هذه الحركة فى وقت متأخر ، حيث دفعوا الأهالى إلى مظاهرات صاخبة فى سلانيك ومناستر وأسكلوب وسوسن مطالبين بإعادة الدستور، بالإضافة إلى أن المتظاهرين هددوا بالزحف إلى اسطنبول ، الأمر الذى أدى بالسلطان إلى الرضوخ لمطالب المتظاهرين حيث قام بإعلان الدستور وإحياء البرلمان ، وذلك فى ٢٤ تموز ١٩٠٨م، وكانت هناك عدة أسباب جعلت من جمعية الاتحاد والترقى أن تبقى السلطان عبد الحميد الثانى فى تلك الفترة على العرض منها :

١- لم تكن فى حوزة الاتحاد والترقى القوة الكافية بعزله فى عام ١٩٠٨م.

٢- اتباع السلطان عبد الحميد الثانى سياسة المرونة معهم، وذلك بتنفيذ رغباتهم بإعادة الدستور .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣- ولاء العثمانيين لشخص السلطان عبد الحميد ، وهذه النقطة واضحة ، حيث أن لجنة الاتحاد والترقى لم تكن لها الجرأة الكافية على نشر دعايتها ضد السلطان عبد الحميد الثانى بين الجنود ، لأن هؤلاء يبجلون السلطان [٥٨].

إن الصهيونية العالمية لم تقتصر على الانقلاب الدستورى لعام ١٩٠٨م، بل تعاونت مع جمعية الاتحاد والترقى لتحقيق مكاسب أخرى فى فلسطين، وعليها كان لابد من التخلص من السلطان عبد الحميد الثانى نهائيًا، ولذلك دبرت أحداث ٣١ أبريل ١٩٠٩م فى إسطنبول وترتب على إثرها ، إضطراب كبير قتل فيه بعض عسكر جمعية الاتحاد والترقى ، عرف الحادث فى التاريخ باسم حادث ٣١ مارت .

وقد حدث هذا الاضطراب الكبير فى العاصمة بتخطيط أوروبى يهودى، مع رجال الاتحاد والترقى، وتحرك على إثره عسكر الاتحاد والترقى من سلانيك ودخلوا إسطنبول ، وبهذا تم عزل خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثانى من كل سلطاته المدنية والدينية، ثم وجهت إليه جمعية الاتحاد والترقى التهم التالية :

١- تدبير حادث ٣١ مارت (مارس).

٢- إحراق المصاحف (وهذا غير صحيح) .

٣- الإسراف.

٤- الظلم وسفك الدماء [٥٩].

وكلها تهم باطلة لا أساس لها من الصحة.

لقد كان الفكر الحاكم فى اتجاهات جمعية (الاتحاد والترقى) هو : الماسونية وهى لاتعترف بالأديان ، بل بالفلسفة الوضعية (العقلانية وهى تنفى الدين) والعلمانية (وهى تبعد الدين عن الحياة) ، ومع ذلك استخدم الثوار الاتحاديون الدين لمحاربة السلطان عبد الحميد الثانى وافتروا عليه باسم الدين[٦٠].

إن التهم التى وجهت للسلطان عبد الحميد الثانى لاتثبت أمام البحث العلمى والحجج، والبراهين الدالة على براءته الكلية مما ينسب إليه، فقد أثبتت الأدلة على عدم علم السلطان عبد الحميد بحادث ٣١ مارت (مارس) ، كما أنه (من المحال إحراق السلطان عبد الحميد للمصاحف ، فهو سلطان معروف بتقواه ، ولم يعرف عنه تركه للصلاة وإهماله للتعبد، كما أنه معروف بعدم إسرافه ، ولأنه لايعرف الإسراف فقد كان المال يتوفر معه دائمًا، ولذلك فقد أزاح من على كاهل الدولة أعباء كثيرة من ماله الخاص). وعن ظلمه وسفكه للدماء فلم يعرف عن السلطان عبد الحميد هذا ، سفك الدماء لأن ذلك لم يكن أبداً ضمن سياسته [٦١].

وبتكليف من جمعية الاتحاد والترقى تم تكوين لجنة لإبلاغ خليفة المسلمين وسلطان الدولة العثمانية عبد الحميد الثانى بقرار خلعه ، وكانت هذه اللجنة تتألف من :

١- إيمانويل قراصو : وهو يهودى أسبانى، كان من أوائل المشتركين فى حركة تركيا الفتاة، وكان مسئولاً أمام جمعية الاتحاد والترقى عن إثارة الشغب وتحريض المتظاهرين ضد السلطان عبد الحميد الثانى وتأمين التخابر بين سلانيك واسطنبول فيما يتعلق بالاتصالات الحركية.

٢- آرام: وهو أرمنى عضو فى مجلس الأعيان العثمانى.

٣- أسعد طوبطانى: وهو ألبانى، نائب فى مجلس المبعوثات عن منطقة دراج.

٤- عارف حكمت : وهو فريق بحرى وعضو مجلس الأعيان، وهو كرجى العراق [٦٢].

يرى السلطان عبد الحميد فى مذكراته تفاصيل هذه الحالة فيقول : (إن ما يحزننى ليس الإبعاد عن السلطة ، ولكنها المعاملة غير المحترمة التى ألقاها بعد كلمات أسعد باشا والتى خرجت عن كل حدود الأدب، حيث قلت لهم : إننى أنحنى للشريعة ولقرار مجلس المبعوثين ذلك تقدير العزيز العليم، سوى أنى أوكد بأنه لم يكن لى أدنى علاقة لا من بعيد ولا من قريب بالأحداث التى تفجرت فى ٣١ مارت ثم أردف قائلاً: (إن المسؤولية التى تحملتموها ثقيلة جداً). ثم أشار عبد الحميد إلى قرصو قائلاً : (ما هو عمل هذا اليهودى فى مقام الخلافة [٦٣]؟ وبأى قصد جئتم بهذا الرجل أمامى؟) [٦٤].

لكن هذا اليهودى الحاقد كانت له أهداف يرغب فى تحقيقها وقف السلطان عبد الحميد الضانى ضدها بكل ما يملك من قوة وهى :

(منع السلطان عبد الحميد تحقيق هدف إنشاء دولة يهودية فى فلسطين وكلف هذا المنع السلطان عبد الحميد غاليًا وأودى بعرشه، وأدى هذا فيما بعد إلى انهيار الدولة العثمانية كلها) ، رغم أنه كان يدرك - كما قال نظام الدين لبه دنلى أوغلو- فى دراسته عن دور اليهود فى هدم الدولة العثمانية أن : (اليهود يمتلكون قوى كثيرة تستطيع النجاح فى العمل المنظم، فالمال كان عندهم والعلاقات التجارية الدولية كانت فى أيديهم، كما كانوا يمتلكون الصحافة الأوربية والمحافل الماسونية) [٦٥].

وبعد إبعاد عبد الحميد الثانى من السلطة، عبرت الصحف اليهودية فى سلانيك عن غبطتها فى الخلاص من (مضطهد إسرائيل) كما وصفته هذه الصحف اليهودية وفى هذا الصدد يقول لوثر : (وبعد إبعاد عبد الحميد من السلطة، عبرت الصحف اليهودية فى سلانيك عن غبطتها، وأخذت تزف البشائر بالخلاص من (مضطهد إسرائيل) الذى رفض استجابة طلب هرتزل لمرتين، والذى وضع جواز السفر الأحمر الذى يقابل عندنا قانون الأجانب) [٦٦].

واستمرت الحملات الإعلامية المنظمة تشهر تشهيراً عنيفًا بالسلطان عبد الحميد الثانى استهدف أعداء الإسلام، من تلك الحملات إظهار الجوانب التالية :

١- الدفاع عن أعضاء الاتحاد والترقى.

٢- تغطية فشل الاتحاد والترقى فى حكم الدولة.

٣- إبراز صورة مشرقة لعهد مصطفى كمال أتاتورك وأعوانه، وتبرير تصرفات عملاء اليهود والإنكليز والدول الغربية فى إلغاء الخلافة وإعلان الجمهورية التركية.

٤- رغبة الصهاينة فى تدمير سيرة السلطان عبد الحميد الثانى انتقامًا منه لسياسته المعادية لأهدافهم فى فلسطين[٦٧].

وحقيقة الأمر أنه لولا أصالة الدولة العثمانية وعراقتها وشموخها لأصبحت هباءً منبثًا، وطويت صفحاتها منذ مطلع العقد الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى، ولكنها ظلت تقاوم عوادى الزمن أكثر من قرنين ، ونتيجة للزحف الاستعمارى، والكيد اليهودى، والنخر الماسونى، والضعف الشديد الذى انتاب الدولة ، وهو ضعف لم يكن السلطان عبد الحميد مسؤولاً عنه غدت ممتلكات الدولة نهبًا بين الدولة الأوربية الاستعمارية التى كانت تخطط منذ زمن بعيد للقضاء على الدولة[٦٨].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المبحث السادس

حكم الاتحاديين ونهاية الدولة العثمانية

تولى السلطنة والخلافة بعد السلطان عبد الحميد الثانى أخوه محمد رشاد إلا أنه فى الحقيقة لايملك أى سلطة فعلية ، وإنما السلطة أصبحت بيد جمعية الاتحادو الترقى، وغدت الحكومة العثمانية تركية فى مضمونها ، قومية فى عصبيتها، بينما كانت من قبل عثمانية فى مضمونها وإسلامية فى رابطتها، فقد تأثرت هذه الجمعية بقوة الأفكار القومية الطورانية التى تدعو إلى تحرير كافة الأتراك، مدعين أن الشعوب الإسلامية فى الأناضول وآسيا الوسطى تشكل أمة واحدة ، وهى الأفكار التى تطورت أخيراً بمجهودات بعض كتاب الجمعية وعلى رأسها موثيز كوهين اليهودى ، والكاتب التركى الشهير ضيا كوك آل؛ فاتبعت سياسة التتريك، وذلك بجعل اللغة التركية هى اللغة الرسمية الوحيدة بعد أن كانت تقف اللغة العربية إلى جانبها ، فتأججت حركة الدعوة إلى القومية العربية، فى مواجهة حركة التتريك .

كون العرب حزب اللامركزية، كونوا جمعيات سرية مثل الجمعية القحطانية برئاسة عبد الكريم خليل والضابط عزيز على المصرى، والجمعية العربية الفتاة، وتكونت الجمعية الاصطلاحية فى بيروت عام ١٣٣١هـ / ١٩١٣م وتعاونت مع جمعية النهضة اللبنانية فى المهجر فقدمنا رسالة مشتركة إلى حكومة فرنسا فى العام نفسه التمسنا فيها منها احتلال سوريا ولبنان ، بينما اتجه بعض مثقفى العراق نحو الإنكليز وأيد بعضهم إقامة إشراف بريطانى على برامج الإصلاح ، بل وحتى إلى بسط الحماية البريطانية على البلاد[٦٩].

ولما بطش الاتحاديون بأعضاء الجمعيات العربية، قامت العربية الفتاة بعقد مؤتمر عربى فى باريس سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م، وقد هيأ الفرنسيون المكان المناسب لعقد الاجتماع وقرر المؤتمرون :

١- ضرورة تنفيذ الإصلاح بسرعة.

٢- إشراك العرب بالإدارة المركزية .

٣- جعل اللغة العربية لغة رسمية فى كافة الولايات العربية.

٤- جعل الخدمة العسكرية محلية بالنسبة للعرب إلى حين الضرورة.

٥- التعاطف مع مطالب الأرمن .

وأكد الأعضاء بأن حركتهم لا دينية وتعادل عدد النصارى مع عدد المسلمين فى المؤتمر، وكان برئاسة عبد الحميد الزهراوى [٧٠].

ولما قامت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣-١٣٣٧هـ / ١٩١٤-١٩١٨م) دخلت تركيا الحرب إلى جانب دول الوسط (ألمانيا والنمسا) فى حين تمكن الإنكليز (بمراسلة الحسين مكماهون) من جر العرب إلى جانب الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) فسادت فكرة القومية العربية ووقع الصدام بين العرب والترك[٧١].

وسقطت تركيا بعد هزيتكها فى الحرب واحتل الحلفاء واليونان أجزاء منها، ووقعت الآستانة تحت سيطرة الإنجليز وأصبح الخليفة كالأسير فيها.

إن خلع السلطان عبد الحميد وقيام جمعية الاتحاد والترقى فى الحكم كانت خطوة أساسية نحو تحقيق المخطط الذى تم أثناء الحرب وبعد الحرب فى مراحل نلخصها فيما يلى:

١- اتفاق الحلفاء على تقسيم العالم الإسلامى الخاضع للدولة العثمانية بين الحلفاء.

٢- وعد بلفور الذى أصدرته بريطانيا للصهيونية فى ٢ / ١١ / ١٩١٧ م الموافق (محرم ١٣٢٦هـ) بإعطاء اليهود وطنًا قوميًا فى فلسطين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣- إخضاع تركيا لأبشع حركة تغريب وتدمير للقيم الإسلامية بنقلها من دولة ذات طابع إسلامى إلى دولة غربية الطابع، وتوجيهها وجهة قومية.

لقد تجلت سياسة مصطفى أتاتورك العلمانية فى برنامج حزبه (حزب الشعب الجمهورى) لعام ١٣٤٩هـ وعام ١٣٥٥هـ والتى نص عليها الدستور التركى وهى المبادئ الستة التى رسمت بشكل ستة أسهم على علم الحزب وهى: القومي، الجمهورية الشعبية ، العلمانية، الثورة ، سلطة الدولة) [٧٢].

توفى أتاتورك عام ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م بعد أن حقق علمانية تركيا رغم أنف المسلمين .

المبحث السابع
أسباب سقوط الدولة العثمانية

إن أساس سقوط الدولة العثمانية كثيرة أهمها هو الابتعادعن تحكيم شرع الله تعالى الذى جلب للأفراد والأمة تعاسةوضنكًا فى الدنيا وإن الابتعاد عن شرع الله له أثره البالغ على الحياة فى النواحى الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ويظهر تأثير ذلك فى أن الفتن تظل تتوالى وتترى على الناس حتى تمس جميع شؤون حياتهم .

قال تعالى : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النورة : ٦٣) .

فإن أى أمة لاتعظم شرع الله أمراً ونهيًا تسقط كما سقط بنو إسرائيل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق طراً ، ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم بعضًا ، ثم ليلعنكم كما لعنهم)[٧٣] .

لقد تحققت فى الدولة العثمانية سنة الله فى تغيير النفوس من الطاعة والانقياد إلى المخالفة والتمرد على أحكام الله (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) (الأنفال :٥٣) .

إن الذنوب التى يهلك الله بها الدول، ويهذب بها الأمم قسمان :

١- معاندة الرسل والكفر بما جاءوا به.

٢- كفر النعم بالبطر والأشر ، وغمط الحق واحتقار الناس وظلم الضعفاء ومحاباة الأقوياء والإسراف فى الفسق والفجور، والغرور بالغنى والثروة فهذا كله من الكفر بنعمة الله، واستعمالها فى غير ما يرضيه من نفع الناس والعدل العام، والنوع الثانى من الذنوب هو الذى مارسه أواخر سلاطين الدولة العثمانية وأمراؤهم [٧٤].

إن الدولة العثمانية فى بداية أمرها كانت تسير على شرع الله فى كل صغيرة وكبيرة، ملتزمة بمنهج أهل السنة فى مسيرتها الدعوية والجهادية ، آخذة بشروط التمكين وأسبابه كما جاءت فى القرآن الكريم والسنة الشريفة . أما فى أواخر عهدها فقد انحرفت عن شروط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التمكين ، وابتعدت عن أسبابه المادية والمعنوية . قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (النور: ٥٥، ٥٦) .

فكانت الدولة العثمانية فى بداية أمرها مستوعبة لتلك الشروط أما فى أواخر عهدها فقد أصاب تلك الشروط انحرافًا عن مفاهيمها الأصلية فمثلاً :

١- من لوازم الإيمان الصحيح الولاء والبراء .

٢- انحصار مفهوم العبادة .

٣- انتشار مظاهر الشرك والبدع والخرافات .

٤- الصوفية المنحرفة .

٥- نشاط الفرق، كالدروز ، والنصيرية ، والإسماعيلية ، والقاديانية ، والبهائية وغيرها من الفرق الضالة المحسوبة على الإسلام.

٦- غياب القيادة الربانية .

٧- رفض فتح باب الاجتهاد .

٨- انتشار الظلم فى الدولة.

٩- الترف والانغماس فى الشهوات .

١٠- الاختلاف والفرقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نتائج البحث

١- تولى حكم الدولة العثمانية بعد مراد الخامس السلطان عبد الحميد الثانى فى عام ١٢٩٣هـ / وضغط عليه من قبل مدحت باشا فأعلن الدستور ، ومارس الوزراء استبدادهم واشتدت سياتهم التغريبية بقيادة جمعية العثمانيين الجدد والتى كانت تضم النخبة المثقفة التى تأثرت بالغرب وعندما حانت الفرصة للسلطان عبد الحميد ألغى الدستور وشرد زعماء التغريب وعمل على إضعاف سلطاتهم ، وشرع فى إصلاح الدولة وفق التعاليم الإسلامية وحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية.

٢- عمل السلطان عبد الحميد الثانى على تشكيل جهاز استخباراتى قوى لحماية الدولة من الداخل وجمع معلومات عن أعدائه من الخارج ، وأخمد ثورات فى البلقان وتمردات داخلية وكان جهاز الاستخبارات من الوسائل المهمة عند السلطان فى القضاء على التمردات الداخلية فى حينها .

٣- دخلت الدولة العثمانية فى حرب ضروس مع روسيا وانهزمت أمامها واضطرت لعقد معاهدة سان ستفانو معها ثم بعد ذلك كان مؤتمر برلين فى ألمانيا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤- ظهرت فكرة الجامعة الإسلامية فى معترك السياسة فى زمن السلطان عبد الحميد الثانى الذى اهتم بهذه الفكرة من دعم أواصر الأخوة بين المسلمين فى كل مكان حتى تستطيع الأمة أن تقف ضد الأطماع الصليبية الاستعمارية .

٥- شرع السلطان عبد الحميد فى تنفيذ مخططه للوصول إلى الجامعة الإسلامية بواسطة وسائل متعددة منها: الاتصال بالدعاة وتنظيم الطرق الصوفية ، والعمل على تعريب الدولة، وإقامة مدرسة العشائر ، وإقامة خط سكة حديد الحجاز، وابطال مخططات الأعداء .

٦- حاول السلطان عبد الحميد الثانى التضييق على جهود الدونمة عندما علم قوته ومؤامراتهم ضد الإسلام .

٧- كان السلطان عبد الحميد الثانى العائق القوى أمام «مخططات حكماء صهيون» فعملوا على ترغيبه بالمال فلم يستطيعوا ، وكان يتخذ التدابير اللازمة فى سبيل عدم بيع الأراضى إلى اليهود فى فلسطين ولم يعط اليهود أى امتياز من شأنه أن يؤدى إلى تغلب اليهود على أراضى فلسطين.

٨- تحركت الصهيونية العالمية لتدعيم أعداء السلطان عبدالحميد الثانى، وهم المتمردون الأرمن، والقوميون البلقان ، وحركة حزب الاتحاد والترقى، والوقوف مع كل حركة انفصالية عن الدولة العثمانية .

٩- استطاعت جمعية الاتحاد والترقى أن تعزل السلطان عبد الحميد الثانى عن الحكم وقد تحصلت على دعم من الدول الأوروبية ، واليهود والمحافل الماسونية للوصول إلى هذا الهدف .

١٠- كانت جمعية الاتحاد والترقى لاتستطيع مقاومة الحلفاء بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى، واضطر زعماؤها إلى الفرار إلى ألمانيا وروسيا .

١١- إن أسباب سقوط الدولة العثمانية كثيرة جامعها هو الابتعاد عن تحكيم شرع الله تعالى، وهذا الابتعاد عن تحكيم شرع الله تعالى جلب للأفراد والأمة تعاسة وضنكًا فى الدنيا، وإن آثار الابتعاد عن شرع الله شهرت فى وجهتها الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية .

١٢- إن انحراف سلاطين الدولة العثمانية المتأخرين عن شرع الله وتفريط الشعوب الإسلامية الخاضعة لهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أثر فى تلك الشعوب ، وكثرت الاعتداءات الداخلية بين الناس، وتعرضت التغور للهلاك ، ونشبت حروب وفتن، وبلايا تولدت على إثرها عداوة وبغضاء لم تزل عنهم حتى بعد زوالهم .

١٣- إن من سنن الله تعالى المستخرجة من حقائق التاريخ أنه إذا عصى الله تعالى ممن يعرفونه سلط الله عليهم من لايعرفنه .

١٤- لقد أصيبت الأمة بانحراف شديد فى مفاهيم دينها ، كعقيدة الولاء والبراء ، ومفهوم العبادة ، وانتشرت مظاهر الشرك والبدع والخرافات .

١٥- انتشار الظلم فى الدولة العثمانية .

١٦- لقد ترتب على ابتعاد الأمة عن شرع ربها آثار خطيرة، كالضعف السياسى، والحربى، والاقتصادى، والعلمى، والأخلاقى، والاجتماعى وفقدت الأمة قدرتها على المقاومة، والقضاء على أعدائها ، فاستعمرت، وغزيت فكريًا ، نتيجة لفقدها لشروط التمكين وابتعادها عن أسبابه المادية والمعنوية وجهلها بسنن الله فى نهوض الأمم وسقوطها . قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأعراف :٩٦) .

الهوامش

١- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دمشق، ص٣١-٣٣ .

٢- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دمشق، ص٥٦ .

٣- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق، ص٥٨ .

٤- نفس المرجع ، ص١٧٨ .

٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى، فى أصول التاريخ العثمانى، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.

٦- د. إسماعيل ياغى الدولة العثمانية فى التاريخ الإسلامى الحديث، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ص١٨٠ .

٧- د. محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، ص٨٠ .

٨- د. محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، ص٩٥ .

٩- نفسه، ص٦٥ .

١٠- نفسه ، ص٩٦ .

١١- د. إسماعيل أحمد ياغى الدولة العثمانية فى التاريخ الإسلامى الحديث، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ص١٨٩ .

١٢- د. إسماعيل ياغى الدولة العثمانية فى التاريخ الإسلامى الحديث، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ص١٨٩ .

١٣- نفسه ، ص١٩٠ .

١٤- انظر: التحفة الحليمية فى تاريخ الدولة العلية، إبراهيم حلمى بك، ص٢٤١ .

١٥- د. عبد العزيز العمرى، الفتوح الإسلامية عبر العصور ، دار إشبيلية ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، الرياض ، المملة العربية السعودية، ص٤١٨ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٦- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دمشق، ص١٤٤ .

١٧- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دمشق، ص١٤٥ .

١٨- إسماعيل أحمد ياغى الدولة العثمانية فى التاريخ الإسلامى الحديث، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ص١٩٥ .

١٩- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دمشق، ص١٦٨ .

٢٠- المرجع السابق نفسه ، ص١٦٩ .

٢١- د. محسن عبدالحميد جمال الدين الأفغانى المصلح المفترى عليه، مؤسسه الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م، بيروت ، ص١٣٧ .

٢٢- المرجع السابق نفسه .

٢٣- المرجع السابق نفسه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٤- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دمشق، ص١٩٦ .

٢٥- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دمشق، ص١٩٨ .

٢٦- المرجع السابق نفسه .

٢٧- د. محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م ، دمشق ، ص٢٠١ .

٢٨- المرجع السابق، نفسه، ص٩٩ .

٢٩- نفسه ، ص١٠٠ .

٣٠- مصطفى طوران، الانقلاب العثمانى، ص٣٧

٣١- د. موفق بنى مرجه ، صحوة الرجل المريض، دار البيارق ، الطبعة الثامنة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٨م، ص١١٣ .

٣٢- د. موفق بنى مرجه ، صحوة الرجل المريض، دار البيارق ، الطبعة الثامنة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٨م، ص١١٤ .

٣٣- المصدر السابق نفسه.

٣٤- د. محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م ، دمشق ، ص١٣١، ١٣٢ .

٣٥- المرجع السابق، ص٢٢٤ .

٣٦- المرجع السابق، ص١٣٨ .

٣٧- د. محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م ، دمشق ، ص١٣٩ .

٣٨- د. أحمد نورى النعيمى ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة، دار البشير ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص٣٧ .

٣٩- المرجع السابق نفسه .

٤٠- د. أحمد نورى النعيمى ، يهود الدونمة، دراسة فى الأصول والعقائد والموافق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص٨ .

٤١- د. موفق بنى مرجه ، صحوة الرجل المريض، دار البيارق ، الطبعة الثامنة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٨م، ص٢٤٢ .

٤٢- د. أحمد نورى النعيمى ، يهود الدونمة، دراسة فى الأصول والعقائد والموافق، مؤسسة الرسالة، , الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص١٦ .

٤٣- د. على حسون، تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثالثة، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م، ص٤٦ .

٤٤- د. أحمد نورى النعيمى ، يهود الدونمة، دراسة فى الأصول والعقائد والموافق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص٨١ .

٤٥- د. أحمد نورى النعيمى ، الحركة الإسلامية الحديثة فى تركيا، دار البشير، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص٦٨- ٦٩ .

٤٦- د. أحمد نورى النعيمى ، الدولة العثمانية ، مؤسسة ، دار البشير، الطبعة الأولى ، ١٤١٧خ/

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٩٩٧م، ص١١٦ .

٤٧- المرجع السابق ، نفسه، ص١٤١ .

٤٨- المرجع السابق ، نفسه، ص١٤٣ .

٤٩- المرجع السابق، ص١٤١ .

٥٠- د. محمد حرب ، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٩٧م، ص٥٧ .

٥١- المرجع السابق، نفسه، ص٥٦ .

٥٢- د. أحمد نورى النعيمى ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة، دار البشير ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص١٥٨ .

٥٣- د. محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م ، دمشق ، ص٢٣٤ .

٥٤- انظر : مذكرات إبراهيم تيمو، ص٩ .

٥٥- د. محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م ، دمشق ، ص٢٨٥- ٢٨ .

٥٦- د. أحمد نورى النعيمى ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة، دار البشير ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص١٦٣ .

٥٧- المرجع السابق نفسه، ص١٦٨ .

٥٨- د. أحمد نورى النعيمى ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة، دار البشير ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص١٦٨ .

٥٩- د. محمد حرب ، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص٥٠ .

٦٠- د. محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م ، دمشق ، ص٢٨٥-٢٨٣ .

٦١- د. محمد حرب ، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص٥٠ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦٢- المرجع السابق نفسه، ص٥١ .

٦٣- د. أحمد نورى النعيمى ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة، دار البشير ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص٢١٩ .

٦٤- المرجع السابق نفسه ، ص٢٢٠ .

٦٥- د. محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثانى، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م ، دمشق ، ص٢٨٥-٨٨ .

٦٦- د. أحمد نورى النعيمى ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة، دار البشير ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص٢٣٠ .

٦٧- د. عبد العزيز الشناوى ، الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية، مطابع جامعة القاهرة، عام ١٩٨٠م: ٢ / ١٠١٨-١٠٢٣ .

٦٨- المرجع السابق نفسه : ٢ / ١٠٦١ .

٦٩- د. على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص٢٤٩ .

٧٠- د. جميل عبدالله محمد المصرى ، حاضر العالم الإسلامى، جامعة المدينة المنورة : ١ / ١٠٩ .

٧١- المرجع السابق نفسه : ١ / ١١٠ .

٧٢- د. جميل عبدالله محمد المصرى، حاضر العالم الإسلامى، جامعة المدينة المنورة: ١ / ١٢٢ .

٧٣- أبو داود ، كتاب الملاحم ، باب الأمر بالمعروف رقم الحديث ٦٤٧٠ .

٧٤- على محمد الصلابى ، دولة الموحدين ، دار البيارق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م، عمان -الأردن ، ص١٧٠ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصادر والمراجع

١- أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ، د. محمد نور الدين .

٢- أبعيد التاريخ نفسه ، محمد العبده، المنتدى الإسلامى، طبعة ١٤١١هـ.

٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام ابن القيم، مراجعة وتعليق عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت .

٤- أوروبا فى العصور الوسطى، سعيد عاشور ، الطبعة السادسة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.

٥- اقتصاديات الحرب فى الإسلام د. غازى التمام، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٦- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية، تحقيق : محمد حامد الفقى، الطبعة الثانية عام ١٣٦٩هـ، مطبعة السنة المحمدية .

٧- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى، دار الريان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨- البطولة والفداء عند الصوفية ، أسعد الخطيب، دار الفكر ، دمشق.

٩- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، محمد بن أحمد بن إياس، القاهرة، مطابع الشعب، ١٩٦٠م.

١٠- البرق اليمانى فى الفتح العثمانى، دار اليمامة، الرياض، قطب الدين محمد بن أحمد المكى، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١١- البلاد العربية والدولة العثمانية، ساطع الحصرى، بيروت ١٩٦٠م.

١٢- تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، بارتولد ترجمة أحمد السعيد، القاهرة، مطبعة الأنجلو المصرية ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.

١٣- تاريخ الدولة العثمانية ، محمد فريد بك، تحقيق الدكتور إحسان حقى، دار النفائس ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٤- تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق باسم الجابى، تأليف يوسف اصاف ، دار البصائر ، الطبعة الثالثة ١٤٩٥هـ/ ١٩٨٥م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٥- تاريخ الدولة العثمانية، د. على حسون، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٦- تركيا والسياسة العربية، أمين شاكر وسعيد العربات ومحمد عطا .

١٧- تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزنتونا ، ترجمة إلى العربية عدنان محمود سلمان، د. محمود الأنصارى ، المجلد الأول - منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول ١٩٨٨م.

١٨- التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ، د. توفيق الطويل ، مطبعة الاعتماد، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦ م القاهرة.

١٩- جوانب مضيئة فى تاريخ العثمانيين زيادة أبوغنيمة ، دار الفرقان ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٣م.

٢٠- جمال الدين الأفغانى المصلح المفترى عليه، د. محسن عبد الحميد ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣، بيروت .

٢١- جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس فى مطلع العصر الحديث، د. نبيل عبد الحى رضوان، مكتبة الطالب الجامعى، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٢- حاضر العالم الإسلامى ، د. جميل عبدالله محمد المصرى، جامعة المدينة المنورة.

٢٣- حروب البلقان والحركة العربية فى المشرق العربى العثمانى، د. عايض بن خزام الروقى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٢٤- الحركة الإسلامية الحديثة فى تركيا ، د. أحمد النعيمى ، دار البشير ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، عمان - الأردن .

٢٥- حركة الجامعة الإسلامية ، أحمد فهد بركات، مكتبة المنار، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، الأردن .

٢٦- خلاصة تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة ، شكيب أرسلان ، بيروت .

٢٧- الدولة العثمانية والشرق العربى، محمد أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .

٢٨- الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مفترى عليها ، د. عبد العزيز الشناوى، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطابع جامعة القاهرة، عام ١٩٨٠م.

ARCHIVE

٢٩- الدولة العثمانية فى التاريخ الإسلامى الحديث ، د. إسماعيل أحمد ياغى ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣٠- الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط ، قيس جواد العزاوى، مركز دراسات الإسلام والعالم ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٣١- السلاطين فى المشرق العربى د. عصام محمد شباو، طبعة ١٩٩٤م، دار النهضة العربية، بيروت .

٣٢- السلطان عبد الحميد الثانى: د. محمد حرب، دار القلم ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م، دمشق .

٣٣- السلاطين العثمانيون ، كتاب مصور ، طبع فى تونس.

٣٤- الشعوب الإسلامية ، الأتراك العثمانيون ، الفرس ، مسلمو الهند د. عبد العزيز سليمان نوار، دار النهضة العربية، طبعة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٣٥- صحوة الرجل المريض، د. موفق بنى مرجه ، دار البيارق ، الطبعة الثامنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٣٦- صراع الفكر بين أجيال العصور الوسطى والعصر الحديث كما صوره الجبرتى، د. أحمد العدوى، أبحاث ندوة الجبرتى، ١٩٧٦م، القاهرة.

٣٧- العثمانيون فى التاريخ والحضارة ، د. محمد حرب ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ./ ١٩٨٩م.

٣٨- العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الإسلامية المعاصرة ، سفر عبد الرحمن الحوالى، طبعة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٣٩- العثمانيون والروس ، د. على حسون ، المكتب الإسلامى، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٤٠- الفتوح الإسلامية عبر العصور، د. عبد العزيز العمرى، دار إشبيلية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، الرياض- المملكة العربية السعودية.

٤١- فى أصول التاريخ العثمانى ، أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار الشروق ، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ARCHIVE

٤٢- فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن من البر إلى البحر، محمد عبد اللطيف البحراوى، دار التراث، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، القاهرة.

٤٣- فلسفة التاريخ العثمانى : محمد جميل بيهم.

٤٤- قيام الدولة العثمانية ، د. عبد اللطيف بن دهيش ، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية .

٤٥- ليبيا منذ الفتح العثمانى، أتورى، روسى، تعريب خليفة التليسى، دار الثقافة ، الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

٤٦- مذكرات السلطان عبد الحميد ، تقديم د. محمد حرب، دار القلم، الطبعة، الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٤٧- موقف أوروبا من الدولة العثمانية، د. يوسف على الثقفى، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٨- المغرب فى عهد الدولة السعدية ، عبد الكريم كريم، شركة الطبع والنشر ، ١٩٧٧م، الدار البيضاء المغرب.

٤٩- من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى، محمد أديب غالب، دار اليمامة ، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، السعودية.

٥٠- المعالم الرئيسية للأسس التاريخية والفكرية لحزب السلامة، محمد عبد الحميد حرب، ندوة اتجاهات الفكر الإسلامى المعاصر، البحرين .

٥١- مفاهيم يجب أن تصحح ، لمحمد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السابعة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، القاهرة.

٥٢- النظام السياسى فى الإسلام، د. محمد أبو فارس دار الفرقان ، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٥٣- النفوذ البرتغالى فى الخليج العربي، نوال صيرفى، مطبوعات دار الملك عبد العزيز،و ١٤٩٣هـ - ١٩٨٣م، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

٥٤- واقعنا المعاصر، الشيخ محمد قطب، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مؤسسة المدنية المنورة.

ARCHIVE

٥٥- الولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد القحطاني ، دار طيبة الطبعة السادسة، ١٤١٣هـ ، مكة- الرياض.

٥٦- والدى السلطان عبد الحميد، مذكرات الأميرة عائشة ، دار البشير، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٥٧- اليهودية والماسونية، عبد الرحمن الدوسرى، دار السنة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، السعودية.

٥٨- اليهود والدولة العثمانية ، د. أحمد نورى النعيمى، مؤسسة الرسالة دار البشير، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥٩- يهودى الدونمة ، دراسة فى الأصول والعقائد والمواقف د. أحمد نورى النعيمى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com